

النظريات الجيوبوليتيكية

من النظريات التي تهتم بدراسة تأثير البيئة الطبيعية والعوامل Geopolitics تعتبر نظريات المدارس الجيوبوليتيكية الجغرافية على الخصائص والظواهر والمؤثرات والتطورات السياسية للشعوب والدول ، ومن الطبيعي أن يكون تفاعل العامل الجغرافي مع العامل السياسي في حياة المجتمعات البشرية موضع دراسة العلماء والمفكرين ، ولكن الجيوبوليتيك كفرع من فروع المعرفة تعتبر علماً حديثاً متقرباً عن الجغرافيا وعاملاً هاماً من عوامل دراسة الاستراتيجية السياسية ، الاستراتيجية الأمنية ، والاستراتيجية العسكرية منذ فترات تاريخية سابقة فقد أشار المؤرخ الإغريقي هيرودوت (484 ق . م - 425 ق . م) في مؤلفاته التاريخية (إن سياسة الدولة تعتمد على جغرافيتها) Esprit وقد حاول الفيلسوف والمفكر السياسي الفرنسي مونتسكيو (1689م- 1755 م) في كتاب روح القوانين De'fense de l'esprit des lois في عام 1748 وأيضاً في كتابه الآخر الدفاع عن روح القوانين عام 1750 - أن يبين الأسباب الكامنة - وراء وجود قوانين معينة في بلد معين وصلة هذه القوانين بالمناخ والبيئة وقد ربط مونتسكيو الجغرافيا بالاقتصاد عن طريق العوامل الطبيعية مثل البحار والمحيطات فهذه العوامل تؤثر في النهج السياسي للدول .

وقد تناول ادولف هتلر مصطلح المجال الحيوي وربطه بالعوامل الجغرافية والطبيعية التي تؤثر في النهج السياسي للدول وقد ظهر هذا المصطلح في كتاب كفاحي والذي نشره هتلر للمرة الأولى عام 1925 وقد تعددت نظريات الجيوبوليتيك وتطورت عبر فترات زمنية مختلفة وقد أدى تطورها إلى اهتمام السياسيين بمدلولاتها ، وبالتالي فهناك ارتباط بين نظريات الجيوبوليتيك ومفهوم الأمن البحري ، وخصوصاً أن هذه النظريات ارتبطت بالقوة والسيطرة والسيادة فعلى حسب قول المفكر الفرنسي برتران بادي (لا بد من إعادة التفكير في مبدأ القوة لأن أغلب الكوكب الأرضي قد مسّه العنف ، ولأول مرة نعي أنه لا يوجد مكان واحد في العالم محمي من مخاطر العنف والإرهاب ، يُضاف لذلك أن العنف ظاهرة معولمة مثل سائر الظواهر الأخرى ، لذا فالعالم مقبل على مستقبل مؤلم متخم بالصراعات) .

والواقع أن نظريات الجيوبوليتيك تتفق على مبدأ القوة والسيطرة ولكنها تختلف في تحديد نوعيتها ؛ فجد أن عالم أشار أن البر هو بمثابة القوة والسيطرة الجيوبوليتيكية Halford Makinder الجغرافيا البريطاني هالفورد ماكيندر أن القوة و السيطرة الجيوبوليتيكية ترتبط Alfred mahan ، ويرى المفكر العسكري الأمريكي الفريد ماهان قد أشار أن قوة السيطرة الجيوبوليتيكية Spykman بالبحار والمحيطات أما المفكر السياسي الأمريكي سبيكمان Alexander ترتبط بالتحالف بين قوة البحر وقوة البر معا ، وقد اختلف المفكر الروسي الكسندر دى سفيرسكي عن المفكرين السابقين وقد رأى أن القوة والسيطرة للوضع الجيوبوليتيكي ترتبط بالسيادة الجوية ، De Sversky . والواقع أن النظرة التراكمية المرتبطة بمفهوم الأمن البحري تندمج مع مجموعة النظريات السابقة

ومعنى ذلك عندما نتناول مفهوم الأمن البحري من خلال النظريات الجيوبوليتيكية السابقة لا بد أن نتناول هذا المفهوم من خلال أربع مستويات نظرية مرتبطة بالقوة والسيطرة الأمنية :الأول مستوى البحر ، والثاني مستوى البر ، والثالث المستويين معا ، والمستوى الرابع الجو ولكن يجب أن نضع في الحسبان أن القوة والسيطرة لا يقتصران على الدوائر الرسمية فقط لأننا نتعامل مع عنصر القوة في أصعدة الحياة كافة، سواء القوة التي تستند على القانون أو المعاهدات أو الاتفاقيات أو القوة الرأسمالية الاقتصادية الحرة أو الرسمية أو القوة التي تستند على القتل والإرهاب والقرصنة عن طريق التهديد بالسلاح فجميعهم مثال للقوة والسيطرة

وبالتالي عندما نتناول مفهوم الأمن البحري من منظور جيوبوليتيكي لا بد أن تشمل العمليات الأمنية على الأربعة مستويات السابقة ، ومن وجهة نظر شخصية لا بد أن يكون هناك مستوى خامس بالإضافة إلى المستويات الأربعة السابقة وهو مستوى الفضاء الخارجي لأن هذا المستوى الجيوبوليتيكي لا يستهان به في المجال الأمني وخصوصاً بعد التقدم الهائل في المجال الإلكتروني والتكنولوجي ولا بد أن يوضع في الاعتبار استخدام الفضاء الخارجي في السيطرة فقد يتحكم في الأرض والبحر والجو _ وبالتالي فالأمن البحري يرتبط أيضاً بالفضاء الخارجي في عمليات الأمن البحري ولا بد أن نضع في الاعتبار أن الأمن البحري يتأثر بالإطار الجيوبوليتيكي تأثيراً مباشراً من خلال تأثير نظريات الجيوبوليتيك المتغيرة لأن أبعاد الأمن البحري ترتبط بالموقع الجغرافي والحدود السياسية فمثلاً النقل المتتابع البحري يكون نقل بحري في جميع أجزائه ولكنه يتم على مرحلتين وذلك في عدم وجود خط ملاحي مباشر إلى الجهة المطلوب نقل الشيء إليها ، والنقل المتعدد الوسائط وهو الذي يتم بطرق مختلفة ويعتبر الجانب البحري جزءاً منة ويستخدم الجزء الآخر منة بطريق البر أو الجو وبالتالي فهناك تطابق للنظريات الجيوبوليتيكية الأربعة السابقة مع عمليات الأمن البحري المرتبط بالنقل البحري والمرتبط أيضاً بالمواقع الجغرافية والحدود السياسية المتغيرة .

وعلى الرغم أن عمليات الأمن البحري تأخذ منهاجاً ثابتاً من حيث القواعد الدولية التي تضعها الخطوط الاستراتيجية له ، ولكن قد يكون هناك اختلافات في تنفيذ تلك القواعد الدولية للأمن البحري ويرجع ذلك لفاوت القوة من دولة إلى أخرى فعلى الرغم أن بعض الدول لديها القدرة على السيطرة من خلال معايير الأمن البحري لأنها بمثابة دول ساحلية ولديها على حسب قول مونتسكيو قوانين معينة من أجل طابعها الجغرافي ولكنها غير قادرة على تنفيذ معايير الأمن البحري ويقابل ذلك دول أخرى غير ساحلية وليس لديها المعايير الدولية للأمن البحري ولكنها لديها القدرة على تنفيذ المعايير الدولية للأمن البحري من خلال عمليات النقل البحري متعدد الوسائط أو عن طريق المعاونة

الأمنية في البر والجو من اجل البحر ، ومعنى ذلك أن الأمن البحري المرتبط بالإطار الجيوبوليتيكي لا يعتمد على السيطرة على البحر فقط ولكن لابد من القوة والسيطرة في جميع الإطارات والمستويات التي أشرنا إليها . فترتبط أهمية الفضاء الخارجي للأمن البحري من خلال مكافحة حرب المعلومات التقنية أو ما يطلق عليها حرب المعلوماتية المرتبطة بالسيطرة الإلكترونية من خلال الأقمار الصناعية بالفضاء الخارجي ، وهناك **Informatics Warfare** نوعان من الحروب المعلوماتية